



# المستشرق

يصدرها حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

تعنى بقضايا الفكر والسياسة والثقافة السنة السادسة عشرة - العدد ٤٠٧ - الثلاثاء - ٢٥ كانون الأول / ديسمبر / ٢٠١٨ ثمن النسخة ٢٥ ل.س

عدد خاص

في اليوم العالمي للغة العربية

## اللغة العربية والعصر

د. بارعة القدسي

### اللغة هي الفكر منطوقا

من وجودنا القومي. لكن لغتنا العربية تولت حماية هذا الوجود من أن تصيبه تلك المحاولات بالأذى المطلوب.

(4)

وحيث انهار كل شيء، بقيت هذه اللغة رافعة رأسها، شاهرة أسلحتها. وحين اجتاحت هذه المنطقة موجات الغزو موجة في إثر موجة، أفلحت هذه اللغة في أن تحتفظ لهذه الأمة بقدر من التماسك جعلها في نهاية المطاف قادرة على أن تكون في مستوى الجابهة الحضارية المحترمة.

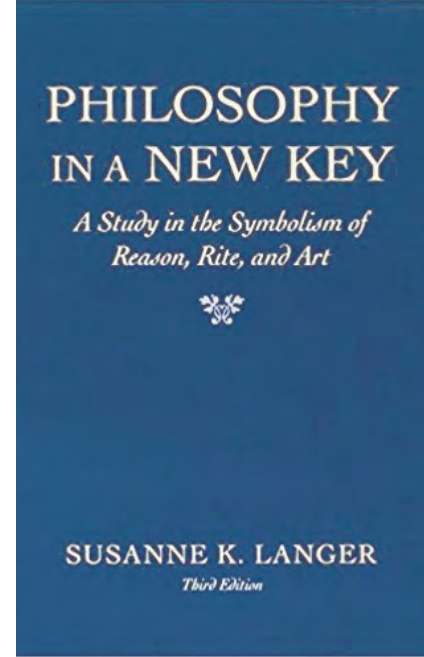
(5)

وأنا هنا لا أتكلم على أوضاع الأمة خلال اللحظة الضاغطة التي عشناها على امتداد ما يقارب الثماني سنوات، وإنما أقوم بإطلالة على ذلك الذي كان من تاريخ يستحق أن يُقرأ بعناية فائقة جعلنا قادرين على استعادة الثقة في أنفسنا وثقافتنا وتراثنا الذي يشهد محاولات محمومة لتثويبه وإظهار ما قد يكون فيه من عيوب ونقائص ومثالب.

باللغة الإنكليزية، في كتاب لها صدر بعد الحرب العالمية الثانية تحت عنوان (الفلسفة من منظور جديد)، هذا الجانب من الموضوع عندما أشارت إلى أن (الإنسان في سعي دائم إلى التعبير عن نفسه)، ولكن هذا التعبير لا يتحقق عن طريق التفكير فحسب، أي عن طريق اللغة، على اعتبار أن اللغة والتفكير لا ينفصلان، وإنما يتحقق ذلك أيضا بوسائل أخرى متعددة، لأن (عالم المعاني أوسع نطاقا بكثير من عالم اللغة. فمع اعترافنا بأن اللغة من أهم مظاهر نشاط ذهن البشري في اتجاهه إلى التعبير عن نفسه تعبيرا ذا معنى، ينبغي أن نعتز في الوقت ذاته بأن نطاق التعبير ذي المعنى، في الإنسان، أوسع كثيرا من نطاق اللغة).

(3)

يبقى بعد ذلك أن نقول إن لغتنا العربية أسهمت إسهاما حاسما في الحفاظ على وجودنا القومي. وعلى مدى قرون طويلة، فإن محاولات محمومة بذلت للنيل



(1)

ما زلت أحتفظ في ذاكرتي بكلام كتبه المشرف على التحرير في صحيفة (الميثاق)، في مقال له عن (اللغة والوجود القومي)، وقال فيه، في جملة ما قال، إن المشكلة اللغوية قائمة في حياتنا الفكرية والثقافية. وتبدو ملامح هذه المشكلة - الأزمة في مجموعة ظواهر.

مثال ذلك أن لغتنا العربية، على غناها وثرائها اللفظي وقدرتها على التعبير، تتحول شيئا فشيئا لتصبح لغة فقيرة. ذلك أن حياتنا تتغير، والأشياء من حولنا تتبدل، لكننا نتعثر في محاولتنا العثور على معادل لغوي لهذا التغير والتبدل. وربما كان السبب في ذلك يعود إلى أننا ما زلنا أسرى الصيغ الجاهزة في التعبير، وهي صيغ لم تعد صالحة للاستعمال، لأنها فقدت صلتها بالواقع، وفقدت قدرتها على الإيصال، وحولت إلى ركام من الكلمات التي فقدت مدلولاتها. وهذا المعادل اللغوي لا يمكن العثور عليه ما لم نتمكن من كتابة قاموس لغوي جديد

مناسب لحياتنا الجديدة. وإذا ما أمكن العثور على هذا المعادل اللغوي، فإن الطريق إلى تجاوز الأزمة اللغوية تصبح مهددة.

(2)

لكن ثمة ضرورة للانتباه إلى أن التعبير لا يتم عن طريق اللغة فحسب، وإنما يتم أيضا بوسائل أخرى. وقد شرحت (سوزان لانغر)، وهي مؤلفة ألمانية الأصل تكتب

## (العريزية) من الظواهر الغريبة التي تفرض نفسها على اللغة الأم

# د. محمود السيد في (قضايا راهنة للغة العربية)

### عامر فؤاد عامر

متطلبات الحياة في مجتمع سريع التغير. التعليم المبرمج: هو شكل من أشكال التعليم الذاتي، وقد عرفه (موريس دومونولان) بأنه طريقة تربوية تتيح لنا نقل المعارف من دون الاستعانة بالمعلم أو المرشد. على أن تراعى الميزات النوعية لكل متعلم على حدة. وثمة مبادئ ثلاثة للتعليم تتمثل في مبدأ الخطوات الصغيرة ومبدأ الإجابة الناشطة ومبدأ التأكد الفوري. التعليم الإلكتروني: هو منظومة تعليمية لتقديم البرامج التعليمية أو التدريبية للمتعلمين أو المتدربين في أي وقت وأي مكان باستخدام تقنيات المعلومات والاتصالات التفاعلية لتوفير بيئة تعليمية متعددة المصادر متزامنة وغير متزامنة بالاعتماد على التعلم الذاتي والتفاعل بين المعلم والمتعلم.

### أهمية تدريس العلوم الصحية باللغة العربية

يعرفنا هذا الفصل على أهمية تدريس العلوم الصحية باللغة العربية، وترجع هذه الأهمية إلى عوامل متعددة منها مكانة اللغة العربية عالمياً وإسهامها من قبل في مسيرة الحضارة البشرية، وقدرتها على مواكبة روح العصر بما تتسم به من سمات وخصائص. وضرورة التمسك بها على أنها اللغة الأم الموحدة والوحدة على الصعيد العربي. والفوائد المرجوة من تدريسها تروياً وثقافياً وأمنياً قومياً وإبداعاً واقتصادياً وتنموياً وصحياً.

### الاستثمار في اللغة العربية ثروة قومية في عالم المعرفة

يشير أ. د. (محمود السيد) إلى أن اللغة تقوم بدورين من الناحية الاقتصادية أولهما عند النظر إليها على أنها أداة في الاقتصاد وفي عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية للدول والأمم. إذ يعد استعمال اللغة بمرود جيد وكفاية عالية أساساً لتحقيق النمو الاقتصادي وضرورياً في عملية التنمية. وثانيهما عند النظر إليها على أنها صناعة وسلعة في القطاع الاقتصادي. إذ تزايد دور الصناعات الثقافية وقاعدتها اللغة العربية الوطنية في الاقتصاد العالمي مؤخراً تزايداً كبيراً جداً.

يذكر أن الكتاب (قضايا راهنة للغة العربية) من تأليف أ. د. (محمود السيد) ومن إصدارات وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب 2016.

### ■ عن صحيفة (الوطن) السورية.

المؤامرة على الحضارة العربية في إحلال الحرف اللاتيني مكان الحرف العربي. ذكر المؤلف مجموعة من المبادرات لحد من استئثار هذه الظاهرة قامت بها شركة غوغل google في زيادة المحتوى الرقمي للغة العربية في الشابكة. كما ذكر توصيات واقتراحات ومنها نذكر: إصدار تشريعات وقوانين لحماية اللغة العربية والحؤول دون استخدام اللهجات العامية والهجين اللغوي في البرامج الثقافية والإعلامية. تكثيف البرامج الرقمية إلى التوعية اللغوية بالدور القومي للغة وذلك في مختلف وسائل التواصل. التوسع في نشر ثقافة وجمالية الخط العربي ولاسيما في المجتمعات التي تكتب لغاتها بالحرف العربي من خلال إقامة الدورات والورش والمعارض...إلخ.

### طبيعة العصر والمحتوى الرقمي العربي

يتسم عصرنا بصفات نوجزها بأنه عصر التدفق المعرفي والانتشار الثقافي الخاطف، والمواصلات السريعة، والتقانة والمعلوماتية، وعصر هيمنة القوى على الضعيف...إلخ.

وثمة مبادرات عربية في التوجه نحو الثقافة الرقمية، فكانت مجموعة من المؤتمرات حول هذا الموضوع. في مصر وسورية والكويت وبيروت وغيرها. والمحتوى الرقمي العربي هو ما يوضع على الشابكة باللغة العربية. وتسمى المحتوى الإلكتروني العربي. وهو مجموع مواقع وصفحات الويب التي كتبت باللغة العربية أو الكتب أو الموسيقى أو الفيديوها...إلخ أي كل ما هو مكتوب في الفضاء الرقمي باللغة العربية إن في داخل الدول العربية أو خارجها. وكل ما هو مسجل بأصوات عربية أو مصور تصويراً يستدل به على مصدره العربي. ويتناول قضايا ثقافية وفكرية وإعلامية واجتماعية واقتصادية...إلخ.

### التقانة وتعليم اللغة

التقانة: هي الجانب التطبيقي للعلم. وقد شقت طريقها إلى التربية مستخدمة الوسائل والأجهزة والبرامج والطرائق حسينا لفاعلية العملية التعليمية التعليمية وارتقاء بها. فهي لا تقتصر على الأجهزة. وإنما هي مفهوم منظومي شمولي متكامل يشمل الأهداف والبرامج والمحتوى وطرائق التدريس وأساليبه والوسائل المستخدمة والأنشطة والتقييم.

التعليم الذاتي: هو تمكين المتعلم من الاعتماد على نفسه بصورة دائمة ومستمرة في اكتساب المعارف والمهارات والقدرات اللازمة لتكوين شخصيته واستمرار تربيته لذاته بما يمكنه من التوافق الإيجابي السوي مع



يقف كتاب (قضايا راهنة للغة العربية) على مجموعة من القضايا المهمة والحساسة التي تعمل على هدم لغتنا والتراجع بها إلى الوراء مقارنة باللغات العالمية ومقومات هذا العصر. فيلقي أ. د. (محمود السيد) الضوء في مؤلفه هذا على ظاهرة العريزية في مواقع التواصل الاجتماعي الشائعة بين شباب أمتنا العربية. وأيضاً يناقش من جانب آخر قضية النقص الكبير في مساحة المحتوى الرقمي في الشابكة الإلكترونية. فهناك فقر كبير وخاصة فيما يتعلق في المجالات العلمية. أيضاً قضية أخرى يلقي الكتاب الضوء عليها وهي تعليم اللغة العربية وتعلمها والقصور في استخدام وسائل التقانة العلمية التعليمية. وفي جانب آخر يشير المؤلف إلى قضية تدريس الطب والمواد العلمية باللغة الأجنبية لا باللغة العربية مواكبة لروح العصر كما يدعي البعض!

### اللغة العربية والتفكير المستنير

يشرح مؤلفنا وظائف اللغة فيحدها في الوظيفة الانفعالية، والتأثيرية، والنسبية، وما وراء لغوية، والشعرية، والاستمرارية. وفي جزء (التفكير جوهر اللغة)، يقف بنا الكاتب على تربية التفكير وصولاً إلى التفكير الإبداعي والتفكير المستنير. وتربية التفكير وتعليمه ينحو بنا في اتجاهات ثلاثة هي: تعليم التفكير في مادة مستقلة، وتعليم التفكير من خلال المواد العلمية، والتوفيق بين الاتجاهين السابقين.

### عالمية اللغة العربية

فرض العرب وجودهم على الساحة الدولية بعد حرب تشرين التحريرية عام 1973 فأصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها باعتماد اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية المقررة في الأمم المتحدة، فأصبحت ست لغات. وتعد العربية من أعرق لغات العالم وزادها شرفاً نزول القرآن الكريم بها. يضاف إليها كثرة عدد المتعلمين بها. إذ يصل هذا العدد إلى 450 مليوناً يعيشون في الوطن العربي وما حوله. من أشهر الإحصاءات العالمية كتاب (حقائق العالم) الذي يربط اللغات بحسب عدد المتكلمين بها. فاللغة الإنكليزية في المرتبة الأولى يليها الصينية ثم الهندية فالعربية في المرتبة الرابعة ثم الإسبانية والروسية والبرتغالية والبنغالية والفرنسية والألمانية عاشرًا.

### العريزية ظاهرة خطيرة على لغتنا العربية

يرتبط وجود اللغة بثقل وجودها اللغوي على

المدير المسؤؤل المشرف على التحرير: صفوان قدسي

أمين التحرير: ماجدة جبور | الإخراج الفني: لارا توما

الإدارة والتحرير: دمشق - حي الروضة - هاتف: ٣٣١٥٤٠٣ | فاكس: ٣٣١٥٤٠٢

الاشتراك السنوي: للأفراد ١٠٠٠ ل.س | للمؤسسات ٣٠٠٠ ل.س | تصدر مرة كل أسبوعين مؤقتاً

فيسبوك: حزب الاتحاد الاشتراكي العربي | الموقع الإلكتروني: www.asuparty.org | الإيميل: info@asuparty.org

فيسبوك: الجبهة الوطنية التقدمية | الموقع الإلكتروني: www.Pnf.org.sy

الميثاق



## دمت بهية متجددة أيتها الأم الرووم

د. عاطف البطرس

نحن الناطقين بها في عملية إنتاج الفكر والمعرفة في العالم. تقوى لغتنا وتنمو وتتطور. تجربة اللغة العربية التاريخية تقول بأنها مؤهلة لمواجهة الصعاب وتحدي المخاطر. فقد استطاعت في القرون الوسطى أن تكون لغة العلم والأدب والفنون والفلسفة. فنقلت عن اليونانية فلسفتها ومن الهندية ما حملته من حكمة. وعن الفارسية ما احتوته من نظم سياسية وإدارية. فكانت بغداد والإسكندرية والأندلس مؤنلا للعلم يرتادها طالبوه من كل أصقاع الأرض. وقد كتب بها الفارابي والكندي وابن النفيس وابن سينا وابن رشد.

سيادة اللغة وتفوقها من قوة الناطقين بها. فسيادة اللغة الإنكليزية ليس من قدراتها الذاتية. وإنما أيضا من قوة الدول الناطقة بها. فهل تستطيع هذه اللغة المحافظة على التسيد لمدة ثمانية قرون. وهي فترة سيادة اللغة العربية؟

تمكين اللغة العربية والارتقاء بها يتحقق برفع المنسوب الثقافي والمعرفي للناطقين بها ومواجهة خطر انتشار اللهجات المحلية. يكون بمحاربة الأمية بشكلها الأبجدي والثقافي المعرفي. فإذا كانت لدينا لغة جاهزة ناضجة نستطيع أن نستجيب لكل متطلباتنا الفكرية والعلمية والتواصلية. فلماذا نلجأ إلى اللهجات المحلية التي لا يستخدمها إلا من تدنى لديه المنسوب المعرفي؟

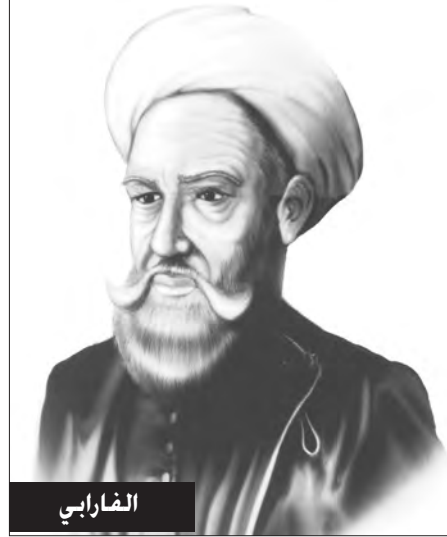
■ عن صحيفة (الثورة) السورية.

لغتنا الأم (العربية) واجهت تحديات جساما عبر تاريخها المديد. فهي من أعرق لغات العالم. وأكثرها قدرة على التوليد من خلال أنواع الاشتقاقات فيها. ولعل لفظة الأم تصح على المشتقات المعروفة. فهناك المصدر وهو الأم وعنه تصدر المشتقات التي تحافظ على دلالة واضحة وعلاقة بينه وبين مصدرها (أمها). كما أن لغتنا تعتبر من أغنى لغات العالم من حيث عدد مفرداتها. وثمة إمكانات مفتوحة للاستزادة في عدد المفردات من خلال الاشتقاق الكبير وهو تقاليد الكلمة الواحدة.

كما تقاس أهمية أية لغة بقدرتها على أداء وظائفها. فاللغة العربية من حيث بنيتها الدلالية والصوتية والنحوية قادرة على تلبية جميع احتياجات الناطقين بها. هذه المؤهلات واللياقة والمرونة. تبقى محفوفة بالمخاطر إذا لم ينتبه الناطقون بها إلى التحديات الجديدة التي يمكن أن تواجهها اللغة العربية لتحدي التلويح وعدم مواكبة الإجازات العلمية وإيجاد الدوال المعبرة عنها.

حيوية لغة ما. تقاس أيضا بقدرتها على الأخذ والعطاء. ليس للناطقين بها وحدهم وإنما في علاقاتها التبادلية مع اللغات العالمية الأخرى. عبر الترجمة وتبادل الدوال. دون أن يخل ذلك بالنظام البيئي النحوي والصوتي والدلالي للغة.

اللغة العربية تزداد قوة ومناعة بقوة الناطقين بها ودورهم وتأثيرهم على الساحة العالمية ثقافيا وسياسيا. فبمقدار ما نساهم



الفارابي

المحيط بنا. وهي قيد التشكل الدائم. وتخضع لقانون التطور والارتقاء. فمن السذاجة بكان تصور اللغة منجزا مغلقا منتهيا يتوارثه الأبناء عن الأجداد. ويقومون بنقله إلى الأحفاد. كما ورثوه. مثل هذه اللغة إن وجدت محكوم عليها بالموت. فالكائنات الحية واللغة مجازيا كذلك. إذا لم تتطور وتواكب التقدم العلمي وتستجيب لمتطلبات العصر وضرورات الحياة بوصفها ظاهرة تاريخية اجتماعية تحكم على نفسها بالموت.

لقد أصاب كبد الحقيقة من أطلق مصطلح اللغة الأم. إذ يمكن للإنسان أن يتقن أكثر من لغة. لكنه لا يمكن أن يتوصل إلى مرحلة الإحساس والتعبير عن أفكاره كما يستطيع ذلك عندما يفكر أو يكتب بلغته الأم.

اللغة الأم هي المنظومة الإشارية الصوتية الدلالية التواصلية التي يتلقاها الإنسان منذ طفولته المبكرة. ويمكن أن نقول تنقلها إليه أمه مع حليبها وأغانيها وهددهاتها له. ومع فيض حنانها. بل ومع وجيف قلبها.

من يتابع مراحل تعلم الطفل اللغة يلاحظ كيف يبدأ أولا بإطلاق أصوات مفردة. ثم كلمات. وبعدها جمل مؤلفة من كلمتين. ومع تقدمه في العمر يمكن له أن يكون جملة مؤلفة من ثلاث مفردات فأكثر.

اللغة الأم هي صلة الرحم وحبل السرة الواصل بين أفراد المجتمع. وهي وسيلة التواصل والتخاطب. وهي من أبسط وظائف اللغة. وهي أداة التفكير. فمن دون اللغة يستحيل على الإنسان أن يفكر ويطور معارفه. والعلاقة بين اللغة والفكر علاقة عضوية. فهي تساهم في إثرائه. وهو يقوم بإغنائه. فمع تقدم الفكر تزايد أهمية اللغة ومكانتها في حياة الأفراد والمجتمعات.

اللغة هي مادة أعلامنا. وهي التي نسترجع عبرها ماضيًا بكل ما يحمله من ذكريات مفرحة ومؤلمة. هي التي تصوغ وجداننا. وتنمي عواطفنا وتصلق أحاسيسنا وتظهرها إلى الوجود. اللغة وجود وكيونة من خلالها ندرك العالم

## اللغة واحترام الذات

د. صلاح صالح

التي لا يستعمل لغتها اليونانية سوى اليونانيين في اليونان وقسم من قبرص. والجور التي يقل عدد سكانها عن عشرة ملايين. وفنلندا التي يقل سكانها عن أربعة ملايين. ورغم ذلك فإن أيا من هذه البلدان. وسواها من بلدان شرق آسيا. لا يعتمد سوى لغته القومية حصرا في مختلف مراحل التعليم. ومختلف المواد. دونما استثناء. وإن أبناء هذه البلدان. وبلدان أخرى عديدة. لا يفرؤون الأدب العالمي إلا بلغاتهم القومية. بعد ترجمته. بطبيعة الحال. من غير أن يغيب عن الأذهان أن انصراف مناهج التعليم إلى تعليم اللغات الأجنبية الحية قائم هناك على قدم وساق. بوصفه ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها. يتعلمونها هناك بوصفها (لغات أجنبية) لا بوصفها لغات بديلة عن اللغة الأم. خلافا لما نعاينه اليوم في عموم منطقتنا العربية من انصراف مفرج. ومخز أيضا عن اللغة الأم. لا شك في أن احترام اللغة القومية جزء من احترام الذات. الذات الجمعية. والذات الفردية على حد سواء. والقار في شتى مناحي حياتنا الاجتماعية والثقافية. على جميع المستويات. أن من ينصرف عن احترام نفسه. فمن المستحيل أن يحترمه الآخرون.

■ عن صحيفة (تشرين) السورية.

يتجاوز في اللغات المعقدة إعرابيا ثلاثين حالة إعرابية تنتاب الكلمة الواحدة. ورغم أن هذه الحالة المعقدة قائمة موضوعيا في لغات أوروبية معاصرة. كالإسبانية. وفي لغات شرق آسيا. كالصينية. واليابانية. والكورية. والفيتنامية. فإن جميع القيم على الشأن السياسي. واللغوي في تلك البلدان يرفض الإذعان لهيمنة اللغة الإنكليزية. في سياق الإصرار المكلف (اقتصاديا وسياسيا وتقنيا) على تطويع البرمجيات الحديثة لمقتضيات تلك اللغات المعقدة مهما اشتطت بها حالات التعقيد الإعرابي. أشاد غير باحث عربي. وغير عربي. بسورية التي اعتمدت. دون سواها. العربية لغة للتعليم في مختلف مراحلها. وفي جميع المواد. انطلاقا من فكرة قارة في أهم مبادئ التربية الحديثة. ومبادئ التطور الشامل. الذي يعني في مبدأ ما يعنيه ضرورة اعتماد اللغة الأم في مناهج التعليم قاطبة (مختلف المراحل ومختلف المواد) بمعنى استحالة إنشاء أي تطور. على أي صعيد بأدوات مستعارة. كاللغات الأجنبية. التي يفاخر مستعملوها العرب. أنهم يستعملونها. وكفاهم استعمالها جهود الارتقاء والاعتماد على الذات. فهم يفخرون بما أجزه الآخرون. من غير أي شعور بأي حرج من وضعهم المتطفل الحزبي على موائد الآخرين. يضرب نبيل علي أمثلة من دول معاصرة ذوات لغات معزولة. يقتصر استعمالها على أبناء تلك الدول. كاليونان



نبيل علي

التي يناسبها (النشج في تقاليد الحالة الإعرابية للكلمة الواحدة) واضعا العربية في مرتبة متوسطة عالميا من ناحية النشج الإعرابي المعاكس لحالة التعقيد الإعرابي/النحوي الذي

يذهب مهندس الطيران المصري (نبيل علي) إلى وجود ما سماه (خالف لغويا) على الصعيد العالمي. لصد الطوفان اللغوي الإنكليزي الكاسح. الرامي في نهاية المتغى الإنكليزي الأمريكي إلى جعل الإنكليزية لغة حصرية للعالم كله. وفي طليعة الوسائل المعتمدة في هذا الشأن ترسيخ استعمالها. وتعميمه عبر الوسائط التقنية ذات الحداثة الفائقة. كأجهزة الكمبيوتر. والهواتف النقالة. والأقمار الصناعية. ومختلف البرمجيات الحديثة. التي اقتحم جميعها حياتنا المعاصرة إلى درجتى الاشتغال. والاستغراق العميق. وقد بات كثيرون من مستخدمي الأجهزة الدقيقة. والبرمجيات الحديثة. في سورية. يعلنون صراحة أنهم يفضلون إبقاء أجهزتهم مبرمجة باللغة الإنكليزية. بدعوى أنهم يفهمونها. أكثر مما يفهمون العربية. وأنها ترشدتهم إلى مسالكهم الإلكترونية بشكل أوضح. وأدق مما تفعل العربية التي يمكن أن تضلل سيرهم داخل مسالك الأجهزة. مع التذكير بأن سورية هي الدولة الوحيدة التي تستعمل اللغة العربية في مناهجها التعليمية قاطبة. في مختلف المراحل. ومختلف المواد. وبالعودة إلى المهندس المصري الذي قدم خدمات جليلة للغة العربية. عبر جعل الأجهزة الحديثة مطواعة للغة العربية. بالتوازي مع جعل العربية مطواعة بالمقدار الذي يبقيا عربية سليمة تمام السلامة. لتلك الأجهزة

# اللغة العربية والعصر

## صفوان قدسي

فضلا عن أنه إشارة إلى هذا العجز اللغوي الذي حل بهذه الكثرة الكثيرة من كتابنا. والطريف في الأمر هو أنه قلما نجد من يوافقك على أن الشرط الذي لا بد من توافره في أي كتاب هو شرط حسن استعماله للغة وأدائه لها. وكثيرا ما سمعت من بعض من كنت أحسن به الظن. أن مسألة اللغة مسألة ثانوية ولا تستحق أن نتوقف عندها طويلا. لأن المهم هو الفكرة التي يحاول الكاتب أن يقولها. والغريب العجيب في هذا المنطق هو أنه يقوم على افتراض بالغ الخطورة وهو أن ثمة انفصاما بين الكلمة وبين ما نحاول أن نقوله أو بين الفكرة واللغة التي تؤدي بها. كذلك فإن هذا المنطق يقوم على افتراض آخر. وهو أن قواعد اللغة العربية يمكن أن تنفصل عن اللغة ذاتها.

هذا المنطق لا يعدو أن يكون تسويغا لهذا العجز اللغوي الذي حل بالعديد من كتابنا. إذا لم يذهب بنا سوء الظن إلى أن المسألة أعمق من ذلك وأخطر. وأنها جزء من المحاولات المبذولة لاقتلاعنا من جذورنا. هذه الجذور التي لا شك في أن اللغة جزء منها. والأغرب من ذلك هو أن المدافعين عن هذا العجز اللغوي يتجاهلون حقيقة ذائعة ومعروفة. وهي أنه ما دامت اللغة العربية لغة منطق وقياس. فإن الخروج عن قواعدها يصبح خروجاً عن منطق اللغة. ويصبح بالتالي خروجاً عن المعنى الذي حاول اللغة تأديته.

وفي بداية الأمر كانت معركة اللغة العربية مع دعاء استخدام حروف غير حروفها. ثم أصبحت فيما بعد مع دعاء اللهجات العامية. أو ما نسميه العاميات العربية. وعلى الرغم من أن المعركة الثانية ما زالت قائمة حتى يومنا هذا. فإن المعركة المقبلة سوف تكون مع الخارجين عن منطق اللغة العربية وقواعدها المعروفة. ولو كانت المسألة مسألة لغة وحسب. لجاز للمختلفين أن يختلفوا. أو للمجتهدين أن يجتهدوا. وللعاجزين أن يستعصوا عجزهم أمام الناس. لكن المسألة أخطر من ذلك. إنها مسألة وجودنا القومي ذاته. ومن هنا فإن التساهل في هذا الأمر يشكل خطر كبيراً. ولست أحسب أن أمة من أمم الأرض يمكن أن تتساهل في مسألة تمس صميم وجودها القومي وقدرة هذا الوجود على الاستمرار. ولا أظن أن أمة من الأمم يمكن أن يكون وجودها القومي موضع جدال.

قد يعترض معترض فيقول إن قصورنا في استعمال لغتنا. وشيوع هذا الخطأ في استعمالها. إنما يعزى إلى خلل في اللغة ذاتها. وأن هذا القصور في حد ذاته دليل على وجود هذا الخلل. والرد على ذلك غاية في البساطة. وهو أن علينا التفريق بين قصور صادر عن جهل باللغة. وقصور صادر عن رغبة في التطوير. ولقد يكون التمييز بين هذين النوعين من القصور عسيراً. لكنه يظل في جميع الأحوال تمييزاً ضرورياً. لأن قصور الجهل ليس في مستوى قصور المعرفة. وهذا يطرح موضوع تجربة الكاتب مع اللغة. وهو ما يعطيه الاستفتاء



تشرشل



ساطع الصري

(1)

بادئ ذي بدء. لا مناص من الاتفاق على وجود أزمة في حياتنا الفكرية والثقافية. وهذه الأزمة تتجلى أكثر ما تتجلى في تعاملنا مع اللغة. لأنه من خلال هذا التعامل مع اللغة. وما ينجم عنه من مشكلات باللغة. التعقيد. تبدو الأزمة في حجمها الحقيقي. وإذا لم نكن قد بلغنا بعد اللحظة التي نجد معها أنفسنا مضطرين إلى مجابهة هذه الأزمة بمحاولة جادة لتقصي أسبابها. واكتشاف ما ينفع من الحلول لمعالجتها. فإن هذه اللحظة آتية لا ريب فيها. وإذا كنا الآن في غفلة عن هذه المشكلة. لأسباب تتصل بانشغالنا في مسائل أخرى تبدو ذات أهمية خاصة. لأنها مسائل وجودنا القومي ذاته. ومستقبل هذا الوجود المهتد بأخطار شتى. فإننا لا بد من أن نجد أنفسنا في يوم قريب في مواجهة هذه المشكلة.

ومنعاً لأي لبس أو سوء تفاهم. فإنه يحسن بنا منذ البداية أن نقول شيئاً محدداً وواضحاً. وهو أن أزمنا اللغوية ليست أزمة اللغة ذاتها. وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة. أي أن العلة ليست في اللغة. وإنما العلة في الذين يتعاملون مع هذه اللغة. وحين نحدد المشكلة على هذا النحو. فإننا لا نعلن بذلك تعصبنا للغتنا القومية. وإنما نقصد إلى القول إن اللغة ليست مسؤولة عما آلت إليه على أيدي أصحابها الذين يكتبونها ويتخاطبون بها. وإنما المسؤولية تقع علينا نحن. بحسبان أن اللغة صناعة. وحين يكون الشيء المصنوع جيداً أو رديئاً. فمسؤولية ذلك تقع على الصانع. ولا تقع على المصنوع.

ومع ذلك فلا بأس من قدر معين من التعصب للغتنا القومية. شريطة أن يقوم هذا التعصب على فهم عميق لعبقرية هذه اللغة ومزاياها وفضائلها. أو لنقل. على الأقل. وفي الحد الأدنى. لخصائصها التي تميزها من غيرها من اللغات. لأنه لا توجد على وجه الأرض أمة تخلو من نزعة عفوية إلى تقديس لغتها القومية والتعصب لها. وأذكر أن كاتباً عربياً أشار في مقال له نشر قبل سنوات إلى هذه الحقيقة عندما قال إن كل الناس متعصبون للغاتهم القومية. وكان الإغريق يصفون من لا يعرف لغتهم بأنه همجي وجاهل وغريب وشاذ. وكان السلاف يصفون الألمان الذين لا يعرفون لغتهم بأنهم خرس. أي لا يتكلمون ما داموا لا ينطقون باللغة السلافية. وكان السياسي ونستون تشرشل الحائز جائزة نوبل في الأدب. ينصح المدرسين باستعمال الشدة والقسوة في تعليم اللغة الإنكليزية. وكان يرى أنها أكثر لغات الدنيا حيوية وحياء. وكان يقول: يجب أن يتعلم التلميذ اللغة اليونانية مكافأة له على إتقانه اللغة اللاتينية. وأن يتعلم اللاتينية تقديراً لإتقانه الإنكليزية. أما الذي لا يتقن الإنكليزية فيجب أن نضربه بالسوط حتى تخرج من فمه على شكل صرخات. وكان فيكتور هيغو يقول عن لغته الفرنسية إنها لغة تعرفها في

## أزمنا اللغوية ليست أزمة اللغة ذاتها، وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة. أي أن العلة ليست في اللغة، وإنما العلة في الذين يتعاملون مع هذه اللغة.

حركة التقدم. ومسؤولية عجزنا عن اللحاق بركب العصر. وما إلى ذلك بما اعتدنا عليه من استعمال مجموعة من العبارات التي تؤدي جميعها في نهاية المطاف إلى نتيجة واحدة. وهي أننا نلقي على لغتنا القومية جميع أسباب قصورتنا. أقول إننا في هذا الذي نفعله إنما نحاول أن نعفي أنفسنا من مسؤولية هذه الأزمة اللغوية التي نواجهها.

مثال ذلك أن نقرأ من يخطئ في استعمال لغتنا العربية الاستعمال الصحيح. يعمد إلى رمي هذه اللغة بكل ما من شأنه أن يحط من قدرها. وأن يجعلها تبدو مسؤولة عن أي خطأ يمكن أن يقع فيه هذا النفر من الناس.

ومن يتأمل في ما يكتب وينشر باللغة العربية. فإنه سوف يقع على حقيقة مثيرة للدهشة. وهي أن الكثرة الكثيرة منه إنما تستهين باللغة استهانة تكاد أن تكون بغير حدود. وأكثر من ذلك فإنه قلما نرى على نص يخلو من خطأ نحوي أو إملائي ارتكبه الكاتب. وأنا هنا لا أتكلم على الأخطاء الشائعة. فتلك أمرها معروف. لكني أتكلم على هذه الوفرة العجيبة من الأخطاء التي شاعت شيوعاً لا يمكن تفسيره إلا على أنه نوع من الاستهانة بعقل القارئ وذوقه.

ثلاثين دقيقة. وأما الإنكليزية ففي ثلاثين يوماً. والألمانية في ثلاثين سنة. وفي فرنسا الآن حملة عنيفة على اللغة الفرنسية المستخدمة في الصحف. وتوصف هذه اللغة بأنها لغة (فرنزية) أي فرنسية إنكليزية. وأن هذه إهانة للغة الفرنسية. وهذه الحملة تدعو إلى تطهير الأقاليم والألسنة من الكلمات الأجنبية السخيفة. لا بأس إذن من قدر معقول من التعصب للغتنا القومية وتقديسها. ولكن ليس قبل سبر أغوارها والوصول إلى مطاوبها ووضع اليد على السر في عبقريتها. كما فعل الأرسوزي عندما استرسل في الحديث عن عبقرية اللغة العربية. من موقف اعتزاز قومي ينهض في الأساس على معرفة عميقة بطبيعة هذه اللغة ومواطن العبقرية فيها.

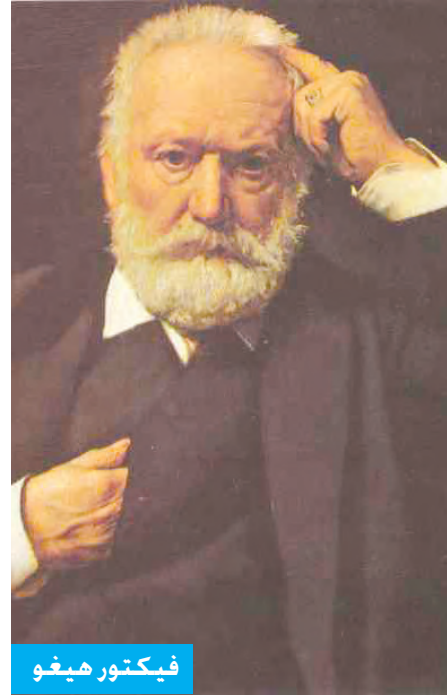
(2)

إذا اتفقنا على أن أزمنا اللغوية ليست أزمة اللغة العربية نفسها. وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة. أي أزمنا نحن الذين نتكلم هذه اللغة ونكتب بها. فإننا نصل بذلك إلى مسألة أكثر حديداً. وهي أننا في تخميننا لغتنا العربية مسؤولية تخلفنا الحضاري. ومسؤولية قصورنا عن مواكبة





زكي الأرسوزي



فيكتور هيغو

الذي أجرته (المعرفة) في هذا العدد الخاص باللغة العربية والعصر مع نخبة من كتاب القصيدة والقصة والمسرحية. لأن هذه التجربة تكشف عما إذا كان قصور الكاتب ناجما عن جهل باللغة، أو إذا كان هذا القصور صادرا عن رغبة في تفتيح آفاق جديدة للغة تزيدها غنى وقدرة على استيعاب تجارب لغوية جديدة. ومع ذلك فإن هذا كله لا علاقة له بحال من الأحوال بمسألة شيوع الخطأ النحوي أو الإملائي الصريح، وهو خطأ لا يمكن أن يفسر إلا على أنه تعبير عن جهل من الكاتب باللغة التي يكتب بها.

(3)

في صميم المشكلة اللغوية، تقع مسألة ما يمكن أن نطلق عليها اسم العاميات العربية. فهذه العاميات العربية جد بين وقت وآخر من يحاول أن يجعل لها وجودا قائما بذاته يفصلها عن جذرها الذي ولدت منه، وهو اللغة العربية.

وعلى الرغم من أن هذه العاميات العربية ليست لغات وإنما هي مجرد لهجات يصفها أحد الكتاب بأنها مجموعات من الألفاظ خاضعة للتفسيرات الجغرافية، تختلف عن بعضها في بلاد عن بلاد، ثم في مدينة عن مدينة من ذات البلاد، ثم تقسم إلى لهجات مختلفة أيضا ضمن الحي الواحد. أقول إنه على الرغم من ذلك كله، وعلى الرغم من أن هناك من يدافع عن هذه العاميات العربية ويدعو إلى الاستفادة منها، فإن الأمر لا يصل بحال من الأحوال إلى اعتبار هذه العاميات لغات قائمة بذاتها.

وقد قرأت منذ مدة مقالا عن نشوء اللهجات وحقيقة الفصحى، حاول كاتبه أن يثبت وجهة نظره تقول إن العربية الفصحى لم تكن لغة الحياة اليومية لدى العرب، وإنما كانت لديهم منذ الجاهلية لهجاتهم المحلية. ووجهة النظر هذه تقوم على افتراض يقول إن العربية كانت في يوم من الأيام لغة واحدة ولدت منها لهجات متعددة، ثم ما لبثت هذه اللهجات أن توحدت في لغة مشتركة، ما لبثت بدورها أن تفرعت إلى لهجات متعددة، وهكذا. غير أن أحدا لم يحاول أن ينسب إلى هذه اللهجات مقدرة لا تملكها، أي أن يعدها لغات عربية قائمة بذاتها، وجل ما فعله هؤلاء هو أنهم فسروا أسباب نشوء هذه اللهجات والظروف الحضارية التي ساعدت في نشوئها، ولم يجروا أحدهم على الجاهلية بأن هذه اللهجات التي تمثل في حقيقة الأمر انحطاطا في مسار اللغة، هي لغات عربية. وربما رأى بعضهم الآخر أن وجود لهجات عربية ليس مقصورا على اللغة العربية فحسب، وإنما هو ظاهرة موجودة في جميع لغات الأرض. غير أنه لا أولئك ولا هؤلاء قد ادعوا أن هذه اللهجات تتمتع بمواصفات اللغة القائمة بذاتها، أو أنها ليست أكثر من تفرعات عن العربية الفصحى.

لكن محاولات فصل هذه اللهجات عن جذورها إنما تستمد مشروعيتها، في نظر أصحابها على الأقل، من جهد مبذول لتطبيق ما آلت إليه اللغة اللاتينية، وما انتهت إليه من مجموعة لغات جديدة تتمتع بخصائصها الذاتية، تطبيق ذلك على اللغة العربية، واعتبار هذه اللهجات، أو ما أطلقنا عليه اسم العاميات العربية، لغات جديدة، اللغة العربية جذرها، لكن خصائصها المستقلة تجعل منها لغات قائمة بذاتها.

وما زلت أذكر بكثير من الإجلال ذلك الجهد الذي بذله ساطع الحصري في دراسته التي نشرها في مجلة المجتمع العلمي العربي بدمشق عام 1957، تحت عنوان (اللغة

## في فرنسا الآن حملة عنيفة على اللغة الفرنسية المستخدمة في الصحف، وتوصف هذه اللغة بأنها لغة (فرنزية) أي فرنسية إنكليزية، وأن هذه إهانة للغة الفرنسية، وهذه الحملة تدعو إلى تطهير الأقلام والألسنة من الكلمات الأجنبية السخيفة.

ذي المعنى، في الإنسان، أوسع كثيرا من نطاق اللغة).

(5)

من هذه الأفاق، تنطلق هذه المحاولة لإصدار عدد خاص عن (اللغة العربية والعصر). وقد راعينا في الإعداد لهذا العدد مجموعة اعتبارات:

منها أن لا يكون الإسهام فيه مقصورا على اللغويين العرب الذين نهضوا في يوم من الأيام برفع لواء الدعوة إلى العربية، لكنهم انتهوا، بشكل أو بآخر، وبنسب متفاوتة، إلى أن يكون جهدهم منصبا على الحفاظ على ما هو قائم، وليس على ما ينبغي أن يكون. كما أن إحجامهم عن متابعة ما يجري في العالم على صعيد الأبحاث اللغوية، قد وضعهم خارج دائرة المهمة الموكول إليهم أمر القيام بها. ومنها أن يحيط هذا العدد بالموضوع المطروح من جوانبه كافة، بحيث تغطي دراساته وأبحاثه الجزء الأعظم من المشكلة اللغوية.

ومنها أن تقسم المشكلة اللغوية إلى وحدات تعالج كل وحدة منها بعدا من أبعاد المشكلة.

ومنها أن يستفتي عدد من أبرز كتاب القصيدة والقصة والمسرحية في الإجابة عن سؤال محدد يتصل بتجربتهم مع اللغة، وأن يجري تقويم ذلك بدراسة نقدية تحاول أن تجيب عن السؤال الآتي: كيف يفكر الكاتب العربي المعاصر باللغة؟

وإذا كانت هذه المحاولة قد نُجحت في رسم خريطة تفصيلية للمشهد اللغوي العربي المعاصر، فإن إغناء هذه المحاولة إنما يتحقق عن طريق إثارة حوار جاد حول الموضوع المطروح للمناقشة، بهدف سد أي نقص يمكن أن يكون قد أصاب هذه المحاولة التي سعينا إلى أن تكون في مستوى الموضوع الخطير الذي تعالجه.

الفكرية والثقافية. وتبدو ملامح هذه المشكلة - الأزمة في مجموعة ظواهر. مثال ذلك أن لغتنا العربية، على غناها وراثها اللفظي وقدرتها على التعبير، تتحول شيئا فشيئا لتصبح لغة فقيرة، ذلك أن حياتنا تتغير والأشياء من حولنا تتبدل، لكننا نتعثر في محاولتنا العثور على معادل لغوي لهذا التغير والتبدل. وربما كان السبب في ذلك يعود إلى أننا ما زلنا أسرى الصيغ الجاهزة في التعبير، وهي صيغ لم تعد صالحة للاستعمال، لأنها فقدت صلتها بالواقع، وفقدت مقدرتها على الإيصال، وحوّلت إلى ركام من الكلمات التي فقدت مدلولاتها. وهذا المعادل اللغوي لا يمكن العثور عليه ما لم نتعمق في كتابة قاموس لغوي جديد مناسب لحياتنا الجديدة. وإذا أمكن العثور على هذا المعادل اللغوي، فإن الطريق إلى تجاوز الأزمة اللغوية أصبح مهده.

لكن ثمة ضرورة للانتباه إلى أن التعبير لا يتم عن طريق اللغة فحسب، وإنما يتم أيضا بوسائل أخرى. وقد شرحت (سوزان لانغر)، وهي مؤلفة ألمانية الأصل تكتب باللغة الإنكليزية، في كتاب لها صدر بعد الحرب العالمية الثانية تحت عنوان (الفلسفة من منظور جديد)، هذا الجانب من الموضوع عندما أشارت إلى أن (الإنسان في سعي دائم إلى التعبير عن نفسه) ولكن هذا التعبير لا يتحقق عن طريق التفكير فحسب، أي طريق اللغة، على اعتبار أن اللغة والتفكير لا ينفصلان، وإنما يتحقق ذلك أيضا بوسائل أخرى متعددة، لأن (عالم المعاني أوسع نطاقا بكثير من عالم اللغة. قمع اعترافنا بأن اللغة هي أهم مظاهر نشاط ذهن البشري في اتجاهه إلى التعبير عن نفسه تعبيرا ذا معنى، ينبغي أن نعترف في الوقت ذاته بأن نطاق التعبير

العربية واللغة اللاتينية) ثم أعاد نشرها في كتاب يضم مجموعة من الدراسات، حمل عنوانا واحدا هو (اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية)، والتي عقد فيها مقارنة بين تاريخ اللاتينية وتاريخ العربية، وأظهر ما بين التاريخين من فوارق أساسية. وفي هذه الدراسة نقرأ عن (الأحداث والعوامل التي تضافرت على تفرغ اللغة اللاتينية إلى فروع كبيرة، وعلى تباعد هذه الفروع بعضها عن بعضها من ناحية، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى). وكان الحصري يرى أن الفوارق بين تاريخ اللغتين يقوم على أن اللغة العربية بعد أن استقرت، لم تتعرض إلى هجمات وغزوات لغات جديدة، كما تعرضت إليها اللغات الرومانية، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية واستيطانها مختلف أنحاء البلاد. وأن البلاد العربية لم تبطل بتشتت وتفتت مائل أو يقارب ما ابتلت به البلاد الغربية خلال العهود الإقطاعية، صحيح أن البلاد العربية فقدت وحدتها السياسية، وانقسمت إلى دول ودويلات عديدة، إلا أن عدد هذه الدول والدويلات ظل محدودا، ولم يصل الانقسام السياسي في العالم العربي - حتى في أسوأ عهود ملوك الطوائف، ولو من بعيد - إلى درجة التفتت التام الذي حدث في العالم الغربي، حيث أصبحت كل مقاطعة، وكل مدينة تقريبا، مستقلة ومنطوية على نفسها.

ولعل ذلك كله أن يقودنا إلى نتيجة محققة وهي أن العاميات العربية ليست لغات قائمة بذاتها، وإنما هي مجرد لهجات صنعتها ظروف معينة. وأن هذه العاميات تنحدر من أرومة واحدة هي اللغة العربية، وأن هذه العاميات لا تملك أن تتحول إلى كيانات لغوية مستقلة.

(4)

المشكلة اللغوية قائمة في حياتنا

## القومية واللغة واللهجة

### عبد الخالق الشهاوي

نحن لا نريد إذا إثبات قومية مصر العربية. فلو أن المسألة متعلقة باللغة لكان الحديث تحصيل حاصل وترديداً لبديهيات. ولكننا نريد أن ندرس موقف اللغة اليوم من المسألة القومية. فإذا كانت اللغة أولى خصائصها بروزاً. فإن العامل الاقتصادي هو أول العوامل فعالية لارتباطه بنشأة البورجوازية. ولكن الاقتصاد على العامل اللغوي يؤدي إلى العنصرية (تجميد الجنس). وكذلك فإن الاقتصاد على العامل الاقتصادي يؤدي إلى التفوقية والتعصب. فالأمة إذا جماعة من الناس مستقرة. وهذا الاستقرار مسألة نسبية. تختلف في مداها من شعب إلى آخر حسب الظروف الاقتصادية والجغرافية والسياسية التي تؤدي إلى زعزعتها أو تدعيمه. ويكون الاستقرار في أرقى مستوياته بتحقيق القومية ذاتها. فهو عامل ونتيجة في ذات الوقت.

والتكون التاريخي لأمة ما لا بد أن يراعى فيه ما حدث من هجرات. بل أن التجاور القبلي على أساس الوجود والحياة في مكانين قريبين يؤدي إلى التفاعل والتقارب. وتبعاً لذلك فإن أشكال الوحدات السياسية تحت سلطة دولة ما أو إمبراطورية ما في التاريخ العربي لا تعني أن القومية كانت قائمة مجرد وجود دولة مركزية مثل الدولة الأموية أو العباسية. إنه قبل دولة القومية يكون هذا التوحد التاريخي كامناً وجنينياً. يكون موجوداً بالقوة. وبعدها يكون موجوداً بالفعل. وفرق بين الوجود الكامن الذي يحتاج إلى ظروف تنمية تصقله. والوجود الحقيقي الذي أصبح واقعا يجد تعبيره في الحياة.

والأمر فيما يتعلق باللغة يشبه ذلك. حيث يكون وجودها وأصلتها وعمقها ووحدها وتطورها قبل عصر القومية عاملاً من عوامل النضج القومي وسرعته ومثابته بنيانه. غير أننا نلاحظ أن كثيراً من التكوينات القومية في أيامنا هذه. وبالذات في أفريقيا تصاغ في شكل وحدة قبائل. وما لدى هذه القبائل ما يفرق بين لغاتها أكثر مما يجمع. فهي لغات بدائية. وأثر الاستعمار في التفرقة وبث أسباب العزلة ما تزال هذه الشعوب تعاني منه.

ولكن حينما تنضج حركة سياسية. فإنه تنمو في كل لغة أو لهجة (إذا صح أن لغات القبائل المتحدة فروعاً للغة واحدة) عناصر الوحدة. وبالتفاعل والتداخل والتطور تبرز وتتميز لغة القومية الجديدة متأخرة عن الوحدة السياسية التي هي أرقى أهداف القومية. وفي نهاية الأمر فإنه سواء كانت اللغة موحدة قبل الحركة القومية أو بعدها. فإن الوجود اللغوي يكون بالقوة (كامناً) وبالفعل (كائناً) من قبل ومن بعد أيضاً.

لماذا يكون الوجود السابق للغة عاملاً من عوامل الإسراع بالنضج القومي؟ لأن اللغة قاسم مشترك بين كل العوامل. فالتكون التاريخي لا يتصور بغير لغة. والحياة الاقتصادية المشتركة لا تعقل بدون تفاهم. وأبسط أشكال الحياة الاقتصادية هي الاقتصاد الطبيعي. حيث الإنتاج من أجل



كان يوقف هذا الاتساع. ولقد وضع الأستاذ أحمد كمال قاموساً لألف المفردات المصرية القديمة المتشاركة في المعنى والمبنى مع المفردات العربية. وقال الأستاذ سليم حسن إن 65% على الأقل من اللغة المصرية القديمة هي سامية. وأكد جوستاف لوبون: (أن جذور المصرية القديمة وقاموسها في معظمه يتركب من عناصر سامية. حتى الأجرومية فيما يتصل بتركيب المؤنث والجمع).

ولعل في هذا ما يرد على الذين يربطون التاريخ القومي للأمة العربية بنشأة اللغة ذاتها. ولعل فيه أيضاً ما يرد على الذين يربطون بين انتشار العربية وظهور الإسلام ونشأة القومية. إذ من المؤكد أن الإسلام قد ساعد على توحيد اللهجات العربية وأعطى للغة عناصر ثبات واستقرار ما تزال تؤثر حتى اليوم. ولكن ذلك في مدى الرؤية التاريخية بالنسبة للغة ليس إلا موجة من الهجرة والامتزاج ساعد الإسلام على إعطائها فاعلية أقوى. إذ دعا العرب الوافدين إلى الاستقرار والاتصاف بالسكان من دون فوارق.

ومثل ما قيل عن مصر يقال عن الشام والعراق. فليس تاريخ عربيتها هو تاريخ الفتح الإسلامي. وليس أثر العرب بعد الفتح هو أثر الجيوش الغازية. فليس كل من وفد إلى هذه البلاد ومصر كان جزءاً من الجيش. فقد حدثنا المقرئ أن قبائل (بلي) التي كانت تؤلف المجموعة القضائية بالشام. قد نقلت كلها بأمر عمر بن الخطاب إلى مصر (فاتفتت هي وجهينة فصار (بلي) من جسر سواج غلابا إلى قرب غرب قمولة. وصار لها من الشرق من (عقبة قاد الخراب) (البداري مركز أسيوط) إلى عذاب (على البحر الأحمر).

وليس لكل هذا من معنى إلا أن البلاد العربية الآن. كانت منذ القدم بحراً يتموج بالهجرة والاتقاءات السكانية.



ساعد على عدم اندثارها عوامل طبيعية وسياسية ودينية. فالفارسية مثلاً كانت قبل الإسلام غيرها بعده. وغيرها الآن. وكذلك لغات كثيرة. ولكن الفروق بين العربية قبل الإسلام وبعده الآن لا تجعل من أي منها لغة أخرى. وإن كانت تطورا لها.

ولقد ساعد اللغة العربية على هذا الصمود التاريخي أن كل البلاد التي تتحدث بها الآن لم يكن أول عهدا بالعربية مع الفتح الإسلامي. فللعربية في مصر مثلاً تاريخ قديم يمتد إلى عشرين القرون قبل الإسلام. حيث أثبت علماء الأجناس أن هجرات كبيرة من الجزيرة العربية كانت تحدث كل ألف عام. وقد أثرت هذه الهجرات الواسعة في معظم سكان مصر القدماء تلك الهجرات التي كانت تأتي عن طريق برزخ السويس حيناً. ومن طريق باب المندب وشواطئ أفريقيا حيناً آخر. وكما يقول (فيليب حتى): (إننا لو دققنا النظر في اللغة المصرية لوجدنا تشابهاً جلياً بينها وبين اللغة الآشورية والبابلية والكنعانية والعبرانية والحبشية والعربية (هذا التشابه) يخول ردها إلى أمة واحدة).

وكما كانت الهجرات غالباً تأتي من الجزيرة العربية. فقد كانت الحملات المصرية إلى سيناء وفلسطين وفينيقيا شمالاً. وبلاد النوبة جنوباً. حدث احتكاكاً بين أهل هذه البلاد الذين كان معظمهم من الأصل العربي ما يؤثر في الفريقين الغازي والمغزو على السواء. وبهذا أصبحت المفردات العربية القديمة هي غالبية مفردات لغة مصر. فالأصل واحد. والاختلاف ليس إلا نتيجة إسقاط بعض الكلمات هنا أو هناك. ولو أن هذه اللغات تركت لظروف التطور اللغوي العادية تؤثر فيها مستندة إلى الفواصل الجغرافية والانعزال الإقليمي وصعوبة المواصلات الخ.. لاتسعت الفوارق وتضخمت. ولكن توالي الهجرات والغزوات. فضلاً عن الارتباطات التجارية.

على كثرة ما كتب عن القومية العربية. فإن دور اللغة فيها ما يزال يحتاج إلى بحث وتمحيص. فلقد ظن البعض أن مجرد الإشادة باللغة العربية وتقرير دورها التاريخي. والبحث عن مجالات تأثيرها في اللغات الأخرى هو الدراسة المطلوبة. ولكن الأمر أعمق من ذلك بكثير. فاللغة بين مقومات القومية هي الركيزة الأولى للتكوين الجماعي للناس الذين يحيون على أرض مشتركة. ويحيون في ظروف اقتصادية واحدة. وهي واسطة التفاهم. وأداة التفكير. ووعاء التاريخ. وبالتالي فإنها قاسم مشترك بين كل مقومات القومية.

ولست بهذا أدخل في الجدل حول أي العناصر المكونة للقومية هي الأكثر فاعلية. فدور اللغة كما حدده لا ينفي دور العامل الاقتصادي أو التاريخي أو الجغرافي أو النفسي. وإنما أشير إلى أنه إذا كان تاريخ القومية العربية هو تاريخ كفاح شعوبها ضد الاستعمار والسيطرة الإقطاعية. وهو تاريخ محاولة الالتقاء حول موقف موحد في هاتين الجبهتين يتطور إلى عمل مشترك. ويؤدي إلى التقارب السياسي والاجتماعي. ويذيب الفوارق بين كافة الأقاليم العربية. وإذا كانت القومية بهذا التحديد موازية للثورة. ترفض أي محاولة لإبقائها دون إطار اجتماعي يحميها من الهلالية والطواعية في يد الاستعمار الجديد. وإذا كانت بهذا تسير إلى الوحدة الشاملة هدفاً ومصيراً. فإن هذا التكيف السياسي للقومية لا يعني أن كل عنصر من عناصرها نشأ مع الصراع ضد الاستعمار والإقطاع. بل إن لكل من هذه العناصر دوره الخاص وتاريخه المتميز.

وبالذات فإن اللغة عامل قديم. ولربما كان التاريخ المشترك يتعمق كل يوم ويزداد خصوبة. ولربما كانت الوحدة الاقتصادية هي أحدث هذه العناصر وأكثرها ارتباطاً بالنشأة التاريخية للقومية. ومن هنا فإن دراسة اللغة كعامل قديم موغل تستدعي شيئاً من الدقة حتى لا يقال إن القومية وليدة اللغة وقريئة وجودها منذ مئات ومئات السنين. فمثل هذه الآراء التي لا تريد ربط الحركة القومية بعملية التحول إلى الرأسمالية. ترى أن هذا الارتباط يجعل ولادتها قريين دخول الاستعمار إلى المنطقة. وبالتالي فإنهم يحاولون التمهق إلى زمن ظهور اللغة. هروباً من العلم ومن التاريخ. فلقد حكم علينا تاريخنا أن تكون نشأتنا القومية متأخرة عن نشأة الدول الأوروبية. ولهذا فليست نشأة قوميتنا في مكانها من التاريخ تعني أنها مستوردة رغم تأثيرها بالحركات القومية الأوروبية. وارتباطها بالنمو الاقتصادي الرأسمالي الذي ظهر مصاحباً للاستعمار فبدأ أثراً من آثاره.

إن دراسة تاريخ اللغة حينئذ يفترق عن دراسة اللغة كعنصر من عناصر القومية. وكل شراح القومية وباحثينا يتفقون على أن اللغة هي أولى خصائصها بروزاً. وحينما تقترن نشأتها بالتميز اللغوي فإن كلا التاريخين ينبعان من أصول واحدة. ولكن اللغة قديمة.



يجمع؟ أعني هل اختلفت اللغة في كل إقليم حتى انشعبت إلى لغات لكل منها قوانينها الداخلية وقاموسها المستقل؟ وبعبارة أخرى فهل نعرف حينما نقول: (اللغة العربية) لغة من نقصد بها؟

إن الذين ينظرون دائما في الفوارق بين الأقاليم ينتهون إلى القول بعدم وجود قومية عربية، وسيجدون دائما في ميدان الفوارق ما يدعمون به آراءهم، لأن كل المقومات تكون كامنة وجينية يحتاج الكشف عنها إلى بصيرة سياسية وإحساس جماهيري. وإذا صح أن ما يفرق أكثر ما يجمع فإن مفهوم القومية العربية يجب أن يضيق حتى يشمل هؤلاء الذين يجدون أن ما يجمعهم أكثر ما يفرقهم.

إن اللغة العربية هي لغة الناس الذين نشأت بهم ولهم القومية. ولسنا هنا نقع في مصادرة على المطلوب كما يقول المناطقة. إذ أن دور اللغة في الوحدة القومية هو أحد وجهي عملة ووجهها الآخر هو دور الوحدة القومية في التوحيد اللغوي، والوجهان متلازمان لا ينفي أحدهما الآخر لأننا حينما ننظر الوضع القائم من زاوية الخلافات الكثيرة، ثم نقف عند حد هذه الرؤبة الفاصلة فنسكون حتى من زاوية البحث العلمي مجرد بعيدين عن الحقيقة، لأنه في داخل القطر الواحد يمكن أن توجد خلافات أقوى وأعمق مما بين القطرين.

بحيث تصبح الأرض الموحدة تكوينا تاريخيا لحدود سياسية وقومية؟

وأيا كان الأمر. فإن الفاصل المعني طبيعيا كان أم تاريخيا أم سياسيا. إنما هو فاصل يحول دون التفاهم والتلاقي في شتى مسالك الحياة. وبالتعبية فإنها هو الفاصل الذي يمنع اللغة من أن تكون واحدة ومشاركة. ومعنى هذا أن اللغة تعتبر (ترموتر) لكافة مقومات القومية. وحينما توجد مصهورة وموحدة فإن معنى هذا أن بقية العوامل يمكن البحث عنها لإثبات وجودها أو حتى لتحقيقها.

ولقد حدث التاريخ عن لغات كثيرة تفرق الناطقون بها أما وشعوبا ذوي لغات متعددة. بل إن ابن حزم أثبت أن (العربية والسريانية) والعربية كانت في قديم الزمان لغة واحدة. وعن طريق الهجرة وتفرق الشعب السامي في بلاد شتى وتأثير البيئة. أخذت لغة كل قبيلة تتعرض للتغيير. إلا أنها بقيت متقاربة لفظا ومعنى. ثم بتعاقب الأزمان أخذت المخالفة تنمو حتى أصبحت تلك اللهجات متغايرة بشكل أوضح.

فاللغة العربية ليست غريبة على قوانين التطور اللغوي، وليست معصومة منها. ومعنى هذا أن العربية في عهد القومية غيرها حين كان يتحدث بها الأجداد الأوائل. ومن ناحية أخرى فإنها في مصر غيرها في العراق أو سورية أو السودان أو تونس الخ.. ولكن هل ما يفرق بين هذه الأقاليم في هذا الميدان أكثر ما

وحضارة الرومان لم تكن حضارة شعب واحد. والحضارة المصرية القديمة لا علاقة لنا بها إلا في حدود أنها حدثت في إطارنا الجغرافي، نظرا للهجرات والتبدل المستمر في التكوين البشري. ولربما كان تأثير الثورة الفرنسية في تكويننا النفسي المشترك أكثر من تأثير خوفو وخفرع.

ولكن حيث توجد لغة قديمة لها مثل هذا العمر الطويل للغة العربية فإن التكوين النفسي المشترك يكون أكثر أصالة وعمقا ما للأمة الأمريكية مثلا.

وحتى الأرض المشتركة، فإنه من الواضح جدا في ظروف عالم اليوم أنها مسألة نسبية. لقد كانت عند القبيلة مجرد حدود المراعي. تنتقل معها حيث توجد كما ينتقل معها كل ما ينشأ حولها من قدسية وتقاليدي مثل حفظ الذمام، والذود عن الحمى والديار. ثم أصبحت الأرض المشتركة هي التي لا يفصلها فاصل طبيعي كالصحراء أو الجبال أو البحر. ثم أصبحنا نرى باكستان مثلا تفصلها صحراء واسعة تفرق بين شرقها وغربها. وحتى قبل التقسيم إلى هند وباكستان. فقد كان هذا الفاصل الطبيعي قائما. وإندونيسيا ليست إلا عشرات من الجزر المتناثرة بين رقعة مياه فسيحة، فهل الجبال هي الفاصل الطبيعي الذي يجعل الأرض غير مشتركة. أم هو البحر أم الصحراء؟ أم أنها حدود نسبية توجد بالقوة وبالفعل مع التكون والوجود القومي للأمة

إشباع مطالب الحياة الضرورية للعائلة أو للقبيلة. وليس للتبادل السلعي - حتى هذا النوع من الاقتصاد - يحتاج إلى لغة يتعامل بها الأفراد. وإذا كان المقصود بالحياة الاقتصادية المشتركة هو وحدة السوق. فإن هذه السوق الموحدة لا يمكن تحقيقها إلا بالقومية. فهي إذا كانت سببا للقومية فإنها أيضا نتيجة. أي أن السوق إذا كان قبل القومية موجودا بالقوة فإنه بعدها موجود بالفعل.

وللتكوين النفسي المشترك تكون اللغة قواما وعصبا. فلكي يعبر الشعب عن نفسه في تكوين نفسي مشترك. فلا بد أن نجد هذا التعبير في اللغة. ابتداء من الألفاظ واستعمالها إلى التراكم وتطورها. إلى الأدب والفن وارتقاءهما.

إن الثقافة والفن الموروثين تاريخيا لا يجدان التعبير عنهما بغير اللغة حتى الفنون التشكيلية. فاللغة هي وعاء حفظ الثقافة والتراث. وهي أداة التكوين النفسي المشترك، فهناك شعوب انقطعت علاقاتها بتاريخ أجدادها مثل حضارات أفريقيا قبل فترة التآخر بسبب الاستعمار. وقبل النهضة القومية الحديثة. بل إنه يمكن السؤال ماذا من تاريخ الحضارات القديمة يمكن اعتبارها ثقافة خاصة بشعب ما؟ إن الحضارة اليونانية القديمة أصبحت ملكا للبشرية. وهي تعمل في التكوين النفسي لكثير من الشعوب بنفس القدر الذي تعمل به لدى الشعب اليوناني.

## في العامية .. أيضا!

### غسان كامل ونوس

يا (أبتاه)!؟. فبماذا تجيب؟! هل هو خطأ مقصود؟! أم سلوك مشهود يندرج في برامج هذه القناة وإداراتها أم خط معهود من القول بالشيء وممارسة نقيضه؟!؟

لسنا هواة التمثيل بالغة، والتباهي بإتقانها. ولكن اللغة هذه جزء من الشخصية شئنا أم أبينا، ولا يتعلق الأمر بالشاهد المتناسق المنسجم، الذي لا يضر بالعين، بل يرضيها ويريحها. على أهميته، وإنما يعكس قدرا كبيرا من فحواها وإمكاناتها. فقد (تنكسر شوكة) المتكلم الباذخ المشهدة. إذا ما تكسرت لغته، وتباعدت حركات كلماته عن أصولها. وقد تتباعد المعاني أيضا، ولا سيما إذا ما كان مسؤولا صاحب أوامر يجب أن تطاع. أو في مواقع لها علاقة بالثقافة وفروعها، والتربية وشعبها، والسياسة ومواقفها وخطبها.

ألا يحس بالخل أو الانكسار من يتلعثم أو يتشردم، أو يتحدث باللغة العربية، كأنه أجنبي، والقوم الحاضرون والسامعون من أهل لغته، يعلمون ذلك، ويلاحظون ارتباكهم وأخطاهم، حتى إن حاول إصلاحها، أو لأنه يحاول ذلك، ولا يشفع له عندها موقعه، ولا سلطته، أو ألقابه، حتى العلمية منها.

■ عن صحيفة (البعث) السورية.

(ومكينها)، وشكلت لجان، ما تزال تجتمع لهذه الغاية، في كل محافظة، وإن كان يديرها، في بعض الحالات، مسؤولون - بحكم وظيفتهم - ويشاركون فيها أيضا، وهم لا يتقنون حتى التحدث بها، إلى درجة فاضحة. لكن هذه اللجان (الفصيحة)، ليست ذات حضور مقنع، ونتائجها لا ترفع من شأنها، وإجراءاتها لا تحكي عنها، ولا مبادراتها وإجازاتها، إن وجدت، ولا تغطي إعلاميا، وهي تكاد تشبه كثيرا من الأعمال التي ترسم، وتنجز من باب رد التهمة، وإسكات المغرضين، أو رفع الشعارات، وليس الترميم الجدي والبناء الحقيقي.

وستستغرب، من دون شك، إذا ما قيضت لك متابعة كثير من البرامج المباشرة، الموجهة إلى الناس، ولا سيما في الفترة الصباحية، وتنزعج، وأنت تسمع أحاديث مجوجة، وحوارات ركيكة، بعامية فاقدة للحرارة والإحساس، بمبالغت في ما هو غير مفيد، أو انتقاصات من أفكار ومعان وإجازات.

وإذا ما أردت إقناع طفلك بأهمية اللغة العربية الفصيحة، وإتقانها لفظا وكتابة، وشرحت له - على سبيل المثال - وجوب حذف باء الاسم المنقوص النكرة في حالتي الرفع والجر، وإذا ما توقف البحث في الشاشة، على قناة (تلاقي) سيقول لك: ولماذا لم تحذف الباء في هذا العنوان المشهود



لسورية والسوريين، كما سببها بعض السوريين لأبناء جلدتهم أيضا. لكننا نشهد أحيانا، ما يصب في الجري ذاته، ويتمثل بالمبالغة في التعامل مع العامية، وما يشبه التخلي عن العربية الفصيحة في برامج كثيرة، مع أن هناك محاولات ودعوات على الصعيد الرسمي للاهتمام بها.

وهو أمر خطير، ومنعكساته ضارة لأسباب عديدة، لسنا في معرض التخيوض فيها الآن. ومن المؤكد أن مثل هذا الأمر ليس له طابع رسمي، ولا تتبناه السياسة الرسمية للدولة، وليست في إرادته، ولا الغالبية الشعبية، على الرغم من الآلام التي سببها بعض العرب

كنا نلوم بعض قنوات التلفزة العربية غير السورية، التي تتخذ من العامية أسلوبا للتواصل مع المشاهدين، حتى في تقاريرها الإخبارية، ومازلت أعتقد أن ذلك ليس كرمي لفهم المشاهدين وفائدتهم وكسب رضاهم، بل للاستهانة بـ(الفصيحة) والإساءة إليها، والخروج على آداب اللغة والرسالة التي حملها، والمحيط الذي تمثله.

ومازلت أعتقد أن اللغة الفصيحة قادرة على إيصال الفكرة إلى جميع الشرائح، ويمكن فهمها من قبل غالبيتهم، من دون داع لشروط عدم التقعر فيها، لأنه ليس مطلوباً أصلاً، وقليلون من يتبعونه، إن لم نقل: يتقنونه.

وأقول: كنا- ومازلنا- نعتز بالتزامنا العربي، وبحرصنا على التواصل الجدي مع الملايين العربية، ومنهم من ما يزال ينظر إلينا بعين الأخوة والود، ويتمنى لنا الخير والتقدم والسلام، وليسوا قلة.

لكن منحى سلبي، أخذ يظهر عندنا، في أكثر من ميدان، ويمكن أن نقرأ ذلك صراحة في بعض مواقع التواصل الاجتماعي، وبعض المنابر الأخرى، فيما يمكن أن نلاحظ ظلاله وأصداءه في مواقع أخرى عديدة، يتمثل بالتقليل من شأن العربية الفصيحة، والعربية من ورائها، ويحرص على الاهتمام بـ(السورنة)،

## هذه الاستهانة بلغتنا الجميلة

صفوان قدسي

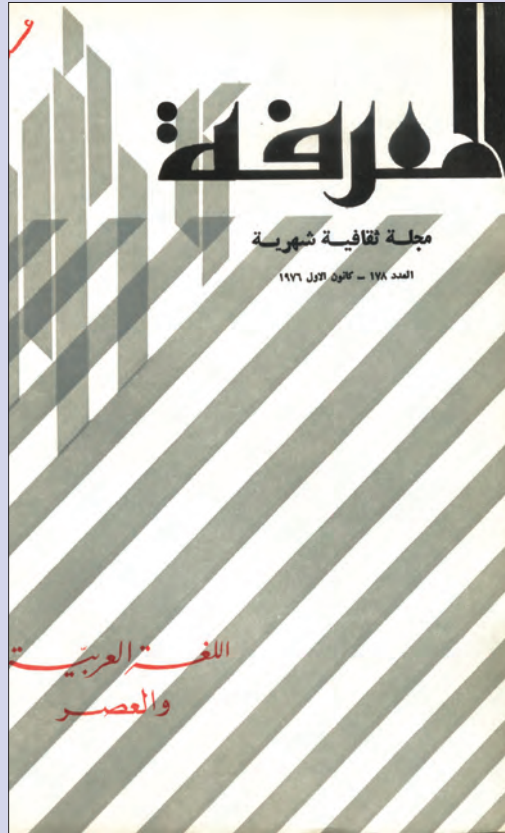
من كتابنا. والغريب في الأمر هو أنه قلما تجد من يوافقك على أن الشرط الذي لا بد من توفره في أي كاتب هو شرط حسن استعماله للغة وأدائه لها.

وكثيرا ما سمعت من بعض من كنت أحسن فيه الظن، أن مسألة اللغة مسألة ثانوية ولا تستحق أن نتوقف عندها طويلا. لأن المهم هو الفكرة التي يحاول الكاتب أن يقولها. والأعجب في هذا المنطق هو أنه يقوم على افتراض بالغ الخطورة. وهو أن ثمة انفصاما بين الكلمة وبين ما تحاول أن تقوله، أو بين الفكرة وبين اللغة التي تؤدي بها. كذلك فإن هذا المنطق يقوم على افتراض آخر. وهو أن قواعد اللغة العربية يمكن أن تنفصل عن اللغة ذاتها.

(3)

هذا المنطق لا يعدو أن يكون تسويغا لهذا العجز اللغوي الذي حل بالعديد من كتابنا. إذا لم يذهب بنا سوء الظن إلى أن المسألة أعمق من ذلك وأخطر، وأنها جزء من المحاولات المبذولة لاقتلاعنا من جذورنا، هذه الجذور التي لا شك في أن اللغة جزء منها.

والأغرب من ذلك أيضا. هو أن المدافعين عن هذا العجز اللغوي، يتجاهلون حقيقة ذائفة ومعروفة. وهي أنه ما دامت اللغة العربية لغة منطق وقياس، فإن الخروج عن قواعدهما يصبح خروجاً عن منطق اللغة، ويصبح بالتالي خروجاً عن المعنى الذي تحاول اللغة تأديته.



باللغة العربية، فإنه سوف يقع على حقيقة مثيرة للدهشة، وهي أن الكثرة الكاثرة منه إنما تستهين باللغة استهانة تكاد تكون بغير حدود. وأكثر من ذلك، فإنه قلما نقع على نص يخلو من خطأ نحوي أو إملائي ارتكبه الكاتب. وأنا هنا لا أتكلم على الأخطاء الشائعة، وإنما أتكلم على هذه الوفرة العجيبة من الأخطاء التي شاعت شيوعاً لا يمكن تفسيره إلا على أنه نوع من الاستهانة بعقل القارئ وذوقه، فضلا عن أنه إشارة إلى هذا العجز اللغوي الذي حل بهذه الكثرة الكاثرة

(1)

عندما أصدرت مجلة (المعرفة) عددها الممتاز عن اللغة العربية والعصر، وكان ذلك في الشهر الأخير من عام 1976، وكنت آنذاك رئيساً للتحقيق، فإنني كتبت مقالا مطولا قلت فيه إنه إذا اتفقنا على أن أزمنا اللغوية ليست أزمة اللغة العربية نفسها، وإنما هي أزمة التعامل مع هذه اللغة، أي أزمنا نحن الذين نتكلم هذه اللغة ونكتب بها، فإننا نصل بذلك إلى مسألة أكثر حديداً، وهي أننا في خمسينات لغتنا العربية مسؤولية تخلفنا الحضاري، ومسؤولية قصورنا عن مواكبة حركة التقدم، ومسؤولية عجزنا عن اللحاق بركب العصر. وما إلى ذلك مما اعتدنا عليه من استعمال مجموعة من العبارات التي تؤدي جميعها في نهاية المطاف إلى نتيجة واحدة، وهي أننا نلقي على لغتنا القومية جميع أسباب قصورنا.. أقول إننا في هذا الذي نفعله إنما نحاول أن نعفي أنفسنا من مسؤولية هذه الأزمة اللغوية التي نواجهها.

مثال ذلك أن نفرا من يخطئ في استعمال لغتنا العربية الاستعمال الصحيح، يعمد إلى رمي هذه اللغة بكل ما من شأنه أن يحط من قدرها، وأن يجعلها تبدو مسؤولة عن أي خطأ يمكن أن يقع فيه هذا النفر أو ذلك من الناس.

(2)

ومن يتأمل في ما يكتب وينشر

الجموع المداجنة عشتار